

## الدرس السابع والثلاثون

تفسير سورة القيامة: [٢٧ : ٣٨]

{وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ  
يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى  
أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ  
يُتْرَكَ سُدىً (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى  
(٣٨)}

{ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [الأعراف : ٣٤] ، فهذا  
حد حده الله تعالى منذ الأزل قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا  
يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف : ٣٤ النحل : ٦١ يونس : ٤٩]، وقال النبي ﷺ: (إِنْ رُوحُ  
الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ  
رِزْقَهَا، فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ  
اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ)<sup>(١)</sup>.

وقيل في معنى { مَنْ رَاقٍ } [القيامة : ٢٧]: من يرقى به في السماء؟ هل ترقى به  
ملائكة الرحمة؟ أم ترقى به ملائكة العذاب؟، فيكون ذلك من الرُّقى.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٧٦٩٤).

قوله: { **وَوَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ** (٢٨) } : ظن هنا بمعنى استيقن ، أي : وقع في قلبه يقينٌ جازم بأنه هذه لحظة فراق الدنيا التي مكث فيها ما مكث، وأمضى فيها ما أمضى، وأجلب فيها ما أجلب ، وخاض فيها ما خاض .

قوله: { **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ** (٢٩) } : هذا التعبير البديع يمثل لحظة الكرب والشدة يعني تكالبت عليه الشدائد، فالعرب تعبر بهذا التعبير للدلالة على اجتماع الشدائد ، شدائد الدنيا، وشدائد الآخرة ، فهو في آخر أيامه في الدنيا ، و أول أيامه من الآخرة

وقيل : ماتت قدماه اللتان كانتا تحملانه ويصول بهما ويجول ، فلم يعد يحمله شيء !

..

{ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ** } ، وقيل : إشارة إلى لفهما بالكفن .

وهي معانٍ متقاربة تدل على حالة راهنه يعيشها هذا المحتضر!

قوله: { **إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** } ، والروح يُصعد بها إلى السماء ، سواء كانت روح مؤمن أو روح كافر ، غير أن روح الكافر كما في حديث البراء بن عازب الطويل: قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، " ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ

الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ  
 الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا  
 النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ". قَالَ: " فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا  
 تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى  
 يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ  
 مَسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ " قَالَ: " فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى  
 مَلَائِكَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ بَنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ  
 أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ  
 لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ فَيَشِيْعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى  
 السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى  
 الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ". قَالَ: " فَتَعَادُ  
 رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي  
 اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي  
 بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟  
 فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ  
 عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ". قَالَ: " فَيَأْتِيهِ  
 مِنْ رُوحِهَا، وَطِيْبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ". قَالَ: " وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ  
 الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي  
 كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْحَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ

الصَّالِحُ، فيقول: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي " . قَالَ: " وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فيقول: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ، أَخْرَجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ " . قَالَ: " فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُورِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تَلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَبِيثُ؟ فيقولون: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يَفْتَحُ لَهُ " ، ثُمَّ قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبَسَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عزَّ وجلَّ: " اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا " . ثُمَّ قرأ: { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } [الحج: ٣١] " فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فيقولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فيقولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فيقول: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فيقولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقول: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فينادي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَحْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فيقول: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا

يَوْمَكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ<sup>(١)</sup>.

وقد مررنا في أول سورة المعارج { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } [ المعارج : ٤ ] ، أن أحد الأقوال في تفسير الروح : أنها أرواح الموتى ، والقول الآخر وهو الأرجح : هو جبريل - عليه السلام -

فقوله: { إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ } [ القيامة : ٣٠ ] ، كقوله: { ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ } [ الأنعام : ٦٢ ] .

فذاك المنكر للبعث الذي عاش عمره وهو لا يصدق بيوم الدين ، و لا يؤمن بالله العظيم ، أي صدمة ستعتريه حينما يقف ذلك الموقف!

ويروى أن أحد الملحدين قال لأحد المؤمنين : ما شعورك حينما تموت و تكتشف أن كل ما كنت تعتقده مجرد خرافات و توهمات ؟ .. فقال له على البديهة: لن يكون أسوأ من شعورك حينما تموت و تكتشف أن كل ما كنت تنكره حق!

ثم قال الله تعالى مبيناً حاله حال هذا المنكر: { فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى } (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ

(١) أخرجه أحمد رقم (١٨٥٣٤).

(٣٥) { سورة القيامة ]، هذه العبارات التبكيية، فيها حطٌ وإزراء على هذا المكذب المنكر للبعث، يقول الله تعالى واصفًا حاله في الدنيا : **{ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى** }، يعني لا صدق بقلبه ولا صلى بجوارحه ، أمضى عمره مكذبًا منكرًا كافرًا لم يركع لله ركعة ، ولم يسجد لله سجدة ، وهذا يدل على عظم الصلاة وأهميتها، واقترانها بأمر الإيمان، حيث ذكرها من موجبات عذابه فقال: **{ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى }**، فبدلاً من التصديق اتصف بالتكذيب، وبدلاً من الصلاة اتصف بالتولي كما يدعى في هذه الدنيا إلى الصلاة ويُقال له: أقم الصلاة فيتولى ولا يرفع بذلك رأسًا.

قال ابن القيم - رحمه الله - قوله تعالى: **{ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى }** فلما كان الإسلام تصديق الخبر والانقياد للأمر جعل سبحانه له ضدين عدم التصديق وعدم الصلاة وقابل التصديق بالتكذيب والصلاة بالتولي فقال: **{ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى }** فكما أن المكذب كافر فالتولي عن الصلاة يزول الإسلام بالتكذيب يزول بالتولي عن الصلاة.

قال سعيد عن قتادة **{ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى }** لا صدق بكتاب الله ولا صلى لله ولكن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته **{ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى }** (٣).

(٢) كتاب الصلاة وأحكام تاركها لا بن القيم (٤٨).

قوله: { **ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى** (٣٣) }، وهذا أيضًا تصويرٌ عجيبٌ لحال، هذا المرء الذي لا يبالي كان في هذه الدنيا يتفكّه و لا يكثرث بما يُقال ، و لا يرفع رأسًا بالذكرى والعظات، و يذهب إلى أهله متبخترًا متخايلاً كسلانًا ، يتفهق في مشيته : { **يَتَمَطَّى** } .. تعبيرٌ بديع يرسم صورةً بدنية و صورةً نفسية لهذا المعرض ، فهو خلي الفؤاد غير مكترثٍ بما يُلقى و في الوقت نفسه يسير سيرة المختال المتباهي الغافل.

كما وصف الله تعالى في سورة المطففين : { **وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ** (٣١) **وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ** (٣٢) } [ سورة المطففين ] ، هكذا حال المتكرين الكفرة، يقع في أنفسهم من العجب و الزهو ما يحملهم على تصويب أنفسهم و تخطئة غيرهم.

{ **أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ** (٣٤) **ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ** (٣٥) } ، أُخْتَلِفَ في المراد به فقيل: أنه وعيد إثر وعيد، و يشهد لهذا المعنى ما وقع بين النبي صلى الله عليه و سلم و بين أبي جهل ، حينما آذى النبي صلى الله عليه و سلم ، فأخذ النبي صلى الله عليه و سلم بتلابيبه وقال له: { **أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ** (٣٤) **ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ** (٣٥) } ، فيكون ذلك من باب الوعيد و التهديد المتكرر.

و قيل: أنه خرج مخرج السخرية به، كأنها يُقال : يحق لك أن تتمطى وأن تتبختر فأنت بذلك حقيق، كما قال الله عزّ و جلّ: { **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** } [ الدخان : ٤٩ ] ، يعني كنت في الدنيا عزيزًا في قومك كريمًا فيهم ، و كما قال: { **إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ**

**مَسْرُورًا** { [ الإنشقاق : ١٣ ] ، فيكون هذا من باب السخرية به ، يعني : أنت تستحق أن تفعل هذا ، و أن تتمطى ، و أن تتبختر ، و أن تتخايل ، رغم أنك مُكذَّبٌ و مُنكِرٌ و لم تصلي .

فهذان معنيان صالحان لحمل الآية عليهما .

وبعد هذا يقول الله عزَّ وجلَّ بعباراتٍ مُقنعة: { **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** } ، سؤالٌ ينبش ما في أعماق النفس من معارف و حقائق ، يقول لكل نفسٍ مُنصِفةً ، و لكل نفسٍ عاقلة هل يمكن أن يُقيم الله تعالى هذا العالم العلوي ، و هذا العالم السفلي ، و يخلق الإنسان ، و يستعمره في الأرض و يستخلفه فيها عبثًا ، و سفهًا بلا حكمة و لا غاية و لا مقصد ! هذا في غاية الامتناع .

و معنى { **سُدًى** } : أي هملاً ، بمعنى : لا يؤمر و لا يُنهى ، و قيل بمعنى : لا يُبعث فقط ، و لا تعارض بين المعنيين ، يحيا في هذه الدنيا يأكل و يشرب ، و ينكح و ينام ، و يستيقظ و يموت .

هل يمكن أن يكون هذا مُرادًا لله ؟! .. حاشا لله عن العبث و السفه ، هو الحكيم سبحانه في شرعه و قدره ، فلا يمكن أن يوجد في هذه الدنيا دون أن يُبتلى بالأوامر و النواهي ، فتُحمَل الآية على المعنيين ، كما قال في الآية الأخرى : { **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** } [ المؤمنون : ١١٥ ] .



هذه آية يمكن أن يجبه بها الإنسان كل ملّحد و يقول له ماذا تظن ! ، أين تذهب !؟ .. هل يمكن أن يخلق الله الخليقة و يقيمهم في الأرض لا لهدف و لا لغاية !؟ .. { خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ } [ العنكبوت : ٤٤ ] ، و مقتضى الحق : أن لا ينتهي المشهد و تنتهي الدنيا و صاحب الحق لم ينل جزاءه ، و صاحب الباطل لم ينل عقابه ، ألسنا نرى بأمهات أعيننا المظلوم يموت مظلومًا ، و الظالم يموت ظالمًا!.

هل يمكن أن يتناسب ذلك مع خلق السماوات و الأرض بالحق ؟ لا والله .. إذا لابد من فصلٍ آخر يُردّ فيه الحقّ إلى نصابه ، و يُجازى المحسن على إحسانه ، و المسيء على إساءته ، { **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** } ، و الجواب قطعًا لا ، فهذا استفهامٌ أريد به الإنكار و النفي .

ثم يقول الله عزّ وجلّ مُذَكِّرًا بالأصل لكي يُنبّه هؤلاء المنكرين للبعث: { **أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى** } ، بلى و الله .. و إذا جاء السؤال مُصدّرًا بهمزة الاستفهام فجوابه بلى ، و والله إن كل إنسان يعلم أن هذا أصله ، كان نُطفةً مَدْرَةً ، مُتْنَةً ، تشنّوها العين و تزدريها و يشمئز منها الإنسان، هذا أصلك يا ابن آدم ما يقذفه الرجال في أرحام النساء ، و آخر عهدهم هذه المتعة التي نالوها ثم ينسونها .

لكن الله عزّ وجلّ يتعاهد هذه النطفة التي استقرت في الرحم ، و يُنشئها خلقًا جديدًا، و الزوجان في غفلة لا يدريان .

قوله: { **ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ** (٣٨) } [ سورة القيامة ]، دامت النطفة أربعين يوماً ثم امتدت إليها الأوعية الدموية المبطنة لجدار الرحم فغذتها ، فإذا بها تستحيل علقه ، وسُميت علقه ؛ لأنها قطعة من دم تعلق في جدار الرحم، ثم بعد العلقه تصبح مضغة تتحول الى قطعة من اللحم ، هذه المضغة تكون مُخَلَّقة وغير مُخَلَّقة ، لكنها إن أراد الله تعالى لها أن تنمو فإنها ستتخلق ويصبح لها رأس و يدا ورجلان ، فمرحلة النطفة أربعين ، والعلقه أربعين ، و المضغة أربعين ، فتلكم أربعة أشهر ، فإذا تشكَّلت بعث الله الملك على تمام أربعة أشهر فتسور على الجنين رَحِمَ أمه ثم نَفَخ فيه الروح: **(إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ)**<sup>(٤)</sup>. والله تعالى يذكر تخليق الجنين في مواضع من القرآن العظيم ؛ لأنه من أعظم دلائل الربوبية.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٥٩٤)، ومسلم رقم (٢٦٤٣).